الآخر، وحينما ينهض فيها «الأنا» والاحتجاج، فإن هذه «الأنا» تختنق في صوت القمع الجمعي، الذي لا يرى في المرأة انساناً، بل موضوعاً لتطبيق الأعراف المتوارثة. ولما كانت المرأة لا «تكتمل» إلا بالزواج، فإن أعراف القمع تحيل الزواج إلى تبادل وبيع وشراء؛ إذ ان حدود المرأة ــ الدمية هي حدود الباب الموصد والستائر الوردية. تطرح سميرة هذا الموضوع في قصة: «ستائر وردية»، فالمرأة تباع وتشترى، ولا تعلن عن وجودها الاجتماعي إلا من زوايا النافذة، وقد يكتسب الإعلان سمة الفرح حين تؤطر «الستائر الوردية» حدود النافذة، فكأن هذه الستائر هي ثمن المرأة المضرجة بالأصباغ والقابعة في غرف لا تنتهك حرمتها حتى الشمس.

إذا كان تسليع المرأة هو اضطهاد محدود الدرجة، فإن هذا الاضطهاد يبلغ درجاته العليا في حالة البغاء، حين تغدو المرأة سلعة كاملة. تقترب صاحبة «الظل الكبير» من موضوع البغاء في ثلاث قصص: «حكايتها، من بعيد، الفيضان». تشير الكاتبة، في القصة الاولى، إلى الشرط الاجتماعي الذي ينتج المرأة ــ المومس، والشرط هنا يتهم الفقر، لكن المجتمع نسي ذاته ونسي الفقر فيتهم المرأة، فكأن الشر قائم فيها، او كأن تصفية الشر لا تنجز إلا بتصفية المرأة ــ الضحية، وعندها تكتمل دائرة الاضطهاد، وتنعدم المرأة بين قطبي الجوع والشرف المهان. اما في قصة «من بعيد»، فإن المومس الفاضلة تتحدّد كمعصية يتم اقترافها في الظلام، فالحوار معها والاقتراب منها يتم في السر البعيد، اما في ساحة الضوء وامام شهود المجتمع فالحوار مستحيل ومحرّم والاقتراب هوان «للأنا» وازدراء للمجتمع، اي ان الاعتراف بإنسانيتها لا يتم إلا في حال غياب الشهود، اما في لحظة الشاهد الآخر فإن وجودها الانساني يطمس من جديد، فتنسحب المومس إلى عالمها الداخلي صامتة متطامنة. تستعيد الكاتبة العالم الداخلي الشقي للمومس في قصة «الفيضان»، حيث تبصر القراءة أقمطة البؤس المتعدّدة، وتلمس دوائر الأسى التي تحيط بمن اتخذن البغاء مهنة. يبدأ الأسى بعرض الذات للبيع، ويتضاعف حين يزهد المشتري بما هو معروض، ثم يترامى العذاب حين تذكر المومس مكانها الاول، وتعرف بصمت ان العودة إليه مستحيلة، وان لعبة العرض والطلب مستمرة إلى لحظة الانطفاء الكامل.

وتكمّل سميرة عزام صورة المرأة في المجتمع حينما ترصد شكل العلاقة اليومية بين المرأة والرجل، حيث تتجلّى التربية المتوارثة والقائمة في شكلها الممارس، والتربية في شكلها الممارس والنظري لا تفصح إلا عن حقيقة واحدة: اللا تكافؤ بين المرأة والرجل، تبعية الطرف الاول للطرف الثاني وخضوعه له. تطرح قصة: «الذكرى الاولى» موضوع المؤسسة الزوجية، والفرق في نظرة الرجل والمرأة إليها؛ فالمرأة ترى، في المؤسسة، تتويجاً واستمراراً للعلاقة الانسانية التي «بدأت» بينها وبين الرجل، اما الرجل فإنه يغيّب البعد الانساني و«ينساه»، ويُرجع المرأة إلى مجرّد شيء من اشياء البيت، وبسبب هذا الفرق تنعدم إمكانية التوصيل بينهما، وتنقلق المرأة في مدار الحرمان والصمت. تستكمل الكاتبة الموضوع ذاته في قصة: «الثمن»، وتُظهر من جديد علاقة الصمت واستحالة الحوار، فالمرأة تنتظر ابداً عطاء عاطفياً وتواصلاً وجدانياً، اما الرجل، فإنه يرجع العاطفي إلى المادي المباشر، ولذلك فإنه يبادل العواطف بـ«حفنة من الاوراق المالية»، مدلّلاً بذلك على